قراءة بلاغية في المقامة الأسدية لبديع الزمان الهمذاني

د. محمد عبده الجحدبي
أستاذ البلاغة والنقد المساعد - قسم اللغة العربية – كلية التربية والآداب والعلوم
جامعة إقليم سبأ – مأرب
Email : aljahdbi@gmail.com

الملخص

هذا بحث بعنوان "**قراءة بلاغية في المقامة الأسدية لبديع الزمان الهمذاني**"، والتي اختصّتْ بالحديث عن المقامة الأسدية فقط، وما حصل له من أحدث مع الأسد.

تناول الباحث ابتداءً التعريف بالمقامات بشكل عام، وما المقصود بها عند الأدباء؟ وكذلك ترجمة للـــأديب والناثر بديع الزمان الهمذاني، من خلال الحديث عن اسمه ومكانه، ومولده، ونشأته، وماذا قيل عنه؟ ووفاته.

بعد ذلك تمّ التعريج على الألفاظ الغريبة للمقامة، ومن ثَمّ الشرح العام لها، يتبع ذلك القراءة البلاغية لكثيرٍ من الجمل الواردة في المقامة، قراءة متعمقة، وبنظرة بيانية أولاً، والتعرّض – أحياناً – للمسات البيانية في ذلك.

ثم نظرة لمواضيع علم المعاني، وما اشتملت عليه من أسلوبٍ خبري وأسلوبٍ إنشائي، والتقديم والتأخير، وأسلوب القصر، وما فيها من الإيجاز والإطناب.

وأخيراً تم النظر فيها بنظرة بديعية، ذاكراً ما اشتملت عليه من صورة بديعية، وكيف أن المقامات تميّزت بالسجع الذي أصبح صفة ملازمة لها.

10

مقدمة:

المتتبع لتراثنا العربي القديم يجد فيه الألفاظ الغريبة، والتكلّف أحياناً في الإكثار من الصور البلاغية، ولا سيما السجع المتعمّد، من هنا جاءت فكرة النظر إلى أدبنا العربي القديم بنظرة بيانية بديعية، مستخرجاً ما فيه من الصور، وشرح ما فيه من غموض الألفاظ والفِكَر، والنظر إلى الجملة من جميع جوانبها، مسترشداً ومستعيناً بضوء المعاني البيانية والبديعية، التي بها تتجلى كل سياقٍ خفي، ويتضح كل سردٍ مستغلق.

ولا سيما أن مقامات بديع الزمان لم تحظَ بالقدر الكافي لشرحها واستخراج ما فيها من الصور والمعاني اللطيفة، وتتبع المفردات والجمل، تتبعاً يغني ويشبع القارئ، ويعيْن على فهم الكلام والسياق المستعمل.

وتأتي هذه الدراسة القليلة في كمها، والمتواضعة في محتواها جزءاً من تعبير كاتبها، وقياماً بالوجب تجاه تراثنا العربي القديم، الذي جدير به أن يُدرس، ويهتم به أكثر، وينظر إليه بشيءٍ من التعمق والإطناب.

أهداف البحث:

1- استخراج ما في المقامة الأسدية من معانٍ بيانية وأخرى بديعية، وأساليب خبرية وأساليب إنشائية.

2- إكساب الباحث مهارة الاستخراج، وإجادة التعامل مع النصوص القديمة وفهمها.

3- محاولة التذوق للنصوص الأدبية القديمة، واستجلاء ما فيها من لطائف ومعانٍ بيانية بديعة.

أهمية وأسباب اختيار العنوان:

مما قادني إلى الكتابة في هذا الموضوع أنها حادثة لبديع الزمان حصلت له مع الأسد، وقام بصياغتها وسردها بأسلوب لطيف ومشوّق جداً، حتى يجد القارئ فيها المتعة والفائدة في ما احتوت عليه من السرد والحبكة واختيار الألفاظ الجزلة، ونثر الكلام بصورة ممتعة وسجع بديع.

وكذلك مما شد انتباهي أن هذه المقامة الوحيدة التي تحدثت وتسمّت باسم الحيوان المفترس وهو الأسد؛ لما ذكر فيها قصته وما حصل له معه، بخلاف بقية المقامات، فجُلّ المقامات وأكثرها سمّيت باسم المكان الذي كان يتنقّل منه وإليه بديع الزمان، وإن كان قد أسهب (في المقامة الحمدانية) في وصف فرس واهتم بجزئيات فيه دون أن يترك شيئاً، فوصفه وصفاً مفصلاً مبسّطاً مقصوداً، كأنه بذلك يريد أن يظهر الموصوفات ويدلّ على أسمائها، وأما هذه المقامة فقد أراد بديع الزمان أن يسجل حادثته التي حصلت له مع الأسد بصورة بديعية بليغة، تشدّ الأذهان والعقول إلى تلك الأحداث والمواقف.

وهي تعدُّ قصةً قصيرة مستمدة أحداثها من طبيعة العصر وأخلاق بعض أناسه، فقد شاعت الحيلة، وكثر الشطّار الذين كانوا يقطعون الطرق بوسائل شتى، لا تخلو من ذكاء، يستعينون على فعلهم بوسامتهم، وجمال محياهم، وخفة روحهم، وسرعة حركتهم، وتنوع أساليبهم.

الدراسات السابقة:

وجدتُ بحثاً محكّماً بعنوان "**دراسة فنية بديعية لــ المقامة البغدادية في مقامات الهمذاني**"، لــ عبد السلام أمين الله، المحاضر بجامعة الحكمة، الورن، نيجيريا، وقد اقتصر في كلامه عن المقامة البغدادية ومضمونها وأشخاصها، والدراسة الفنية البديعية لها، من خلال الحديث عن المحسنات اللفظية والمعنوية التي اشتملت عليه.

منهجية البحث:

بعد الشرح لمفردات المقامة الأسدية وشرحها شرحاً عاماً، حاولت أن أحلّلها وأقرأها بنظرة بلاغية، حيث أستخرج الصور البيانية من الجمل موضع الدراسة، والحكم –غالباً– عليها، وماهيتها البيانية سرداً لها دون التعرض لترتيب مواضيع علم البيان، ثم قراءة أخرى في مواضيع علم المعاني من جمل خبرية أو إنشائية و... وتعمّدت ترتيب المواضيع والحديث عن كل واحد على حدة، ثم اختتمت بالقراءة البديعية متعرضاً لبعض المحسنات اللفظية وبعض المحسنات المعنوية، وأيضاً تم ترتيب المواضيع والحديث عن كل واحدٍ على حدة؛ ليتم التعرّض لكلٍ منها بشكل منفصل، وماذا تميّزت به المقامة من ناحية بديعية؟؟ !!.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من ثلاثة مباحث، وخاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالمقامات.

المبحث الثاني: ترجمة بديع الزمان الهمذاني.

المبحث الثالث: القراءة البلاغية في المقامة الأسدية.

وسأعمل على توضيح هذه المباحث في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

التعريف بالمقامات

تعريف المقامة:

المقامة في اللغة: اسم مكان من الفعل (قام)، أي: مكان القيام، ومنه قوله تعالى حكاية عن مقام إبراهيم: چ ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ چ آل عمران: ٩٧، أي: "الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت... وفيه الصفا والمروة والحجر الأسود"[1].

ويقول الزبيدي: "القوم يجتمعون في المجلس"[2]، وقال غيره: الجماعة من الناس والمجلس والخطبة أو العظة أو نحوهما وقصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة أو ملحة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم[3].

والمقامة عند الأدباء والكتّاب هي: "فن أدبيّ يقوم عادةً على حكاية من حكايات الشطارة والاستجداء، ذات بطلٍ واحدٍ"[4]، وتنتهي بعِظَة أو مُلحة، وتشتمل على الأخبار الطريفة والألغاز المحبوكة، ولكل مقامةٍ راوٍ وبطل من ابتداع الكاتب، وهمَّة البطل مقصورة على تحصيل الرزق بأيسر السبل، من الكدية والحيلة بانتحال الشخصيات المختلفة، فهو يتنقّل من مكانٍ إلى مكان، ومن موقفٍ إلى آخر؛ مغيرًا هيئته في كل مرة، متخذًا الكدية وسيلة لكسب ما يقيم حياته، إلى أن تنتهي الحكاية بانكشاف حقيقة حاله، وافتضاح أساليب مكره وخداعه، التي يلجأ إليها لتحصيل مطعمه ومشربه، وهذا تماماً كما حصل للشخصية أبي الفتح الإسكندري التي تحدث عنها بديع الزمان في مقاماته، التي ستأتينا في هذه السطور[5].

ومن أجل هذا كان اختيار هذا البحث، الذي حاول الباحث فيه أن يجمع بعض المقامات المكانية، والتي تتحدث عن الأمكنة، التي قيلت فيها، وتنقّل بديع الزمان منها وإليها.

وأما الراوي للمقامة فهو رجل مُغرم بالأدب، لا همّ له إلا اقتناص مجالس الأدب، وتتبع البطل وأخباره، ومؤلف المقامات معنيّ بإظهار المقدرات اللغوية، وتخير الألفاظ الغريبة، والكلمات المنسوجة ببديع محكم، يتخللها الكثير من الصور البيانية الممزوجة بمعانٍ لطيفة.

---

[1] صفوة التفاسير (1/ 199).
[2] تاج العروس من جواهر القاموس (33/ 310).
[3] المعجم الوسيط (2/ 768).
4 الأدب المقارن - جامعة المدينة (بكالوريوس) (ص: 333).
5 انظر معنى هذا: الأدب المقارن - جامعة المدينة (بكالوريوس) (ص: 333).

مقامات بديع الزمان في سطور:

ظلّت مقامات بديع الزمان الهمذاني الاثنتان والخمسون أنموذجًا يحتذيه كتّاب المقامات الذين جاءوا من بعده، وأول هؤلاء وأشهرهم الحريري الذي كتب مقاماته المشهورة واعترف بريادة بديع الزمان لهذا الفن، حتى قال مادحاً لها:" ذِكْرُ المَقاماتِ التي ابْتَدعَها بَديعُ الزّمانِ. وعلاّمَةُ همَذانَ. رحِمَهُ اللهُ تعالى... إلى أنْ أُنْشئَ مَقاماتٍ أتْلو فيها تِلْوَ البَديعِ. وإنْ لمْ يُدْرِكِ الظّالِعُ شأوَ الضّليعِ – يقصد بديع الزمان –"[1].

ثم تبعه عدد كبير من الكتّاب القدامى والمُحدثين فكتبوا في هذا الفن، بل وأصبح كل من ألّف بعد ذلك عالة على بديع الزمان في نسجها وابتداعها، وطرائفها، وما احتوت من ثروة لغوية هائلة، ومحسنات بديعية وبيانية كثيرة، ومن أبرزهم: الزمخشري، وجلال الدين السيوطي من المشارقة، والسرقسطي من الأندلسيين، وكذلك ابن الصيقل الجزري صاحب كتاب: المقامات الزينية، وأما المحدثون فأهمهم اليازجي والمويلحي[2]... وغيرهم.

المبحث الثاني

ترجمة بديع الزمان الهمذان

أولاً: اسمه ونسبه ومولده.

بديع الزمان (358 – 398 هـ = 969 – 1008 م)

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، أحد أئمة الكتاب، وهو الحافظ المعروف ببديع الزمان؛ صاحب الرسائل الرائقة[3]، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج، وهو أحد الفضلاء الفصحاء.

ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وولد في همَذَان إحدى مدن فارس الشمالية، وافتتح سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وهي بلدة واسعة جليلة القدر، كثيرة الأقاليم والكُوَر، ويشرب أهلها من عيون الأودية، قال عنها وعن برْدَها ابن خالويه، وهو همذاني واستوطن حلب:

إذا همذانُ اعتادها القرُّ وانثنى برغمك أيلولٌ وأنت مقيمُ

[1] مقامات الحريري (ص: 15).
[2] انظر: الموسوعة العربية العالمية (/ 1)، واليازجي هو صاحب كتاب: مجمع البحرين لليازجي - ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط.
[3] أو بمعنى: أنيقة كما في وفيات الأعيان.

فعينك عمشاء وأنفُك سائلٌ ووجهك مسوّدّ البياض بهيمُ

بلادٌ إذا ما الصيفُ أقبلَ جنّة ولكنها عند الشتاءِ جحيم[1]

وانتقل بعد ذلك بديع الزمان الهمذاني إلى هراة سنة 380هـ فسكنها، ثم ورد نيسابور سنة 382هـ، ولم تكن قد ذاعت شهرته حتى لقي أبا بكر الخوارزمي، فشجر بينهما ما دعاهما إلى المساجلة، فطار ذكر الهمذاني في الآفاق آنذاك.

ثانياً: أعماله الأدبية.

– له (مقامات بديع الزمان– ط) أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها، ويذكر أن أكثر (مقاماته) ارتجال، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطوره، ثم هلم جرا إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه!

– وله (ديوان شعر – ط) صغير.

– و مجموعة (رسائل – ط) عدتها 233 رسالة.

وقد درس بديع الزمان العربية والأدب، كان قوي الحافظة يضرب المثل بحفظه، وكان شاعراً وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر.

وقد جمع كلامه بين متانة اللفظ، ورشاقة المعنى، وجمال العبارة، ودقة الخيال، وقد تصرف هذا الكاتب في فنون الترسُّل، وتفنّن في ضروب الرسائل.

وله شعر رقيق لم يبلغ من الجودة مبلغ النثر؛ لأن الجمع بين حسن النظم وحسن النثر قلّما يتفقد لأحد.

أي: أن نثره طغى واشتهر به أكثر من شهرته بالشعر، محبراً في نثره أعماله الأدبية التي فيها الشيء الكثير من البديع والبيان والمعاني اللطيفة، وأنت حينما تقرأ كتابه في المقامات تجد بأنه لا يقل شأناً من أولئك الشعراء المخضرمين والجهابذة، فكلاً قد وهبه الله موهبة ينطق بها، وإبداع يجود به، ويصيغ الكلام بطريقته الخاصة، والمحتوية على الكثير من الصور البلاغية والمعاني النفيسة، التي تنبئ عن كنز من سحر البيان وجودته، الذي تمتع به هذا الناثر الأديب.

مختارات من كلامه:

من رسائله على سبيل المثال: " الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه، وإذا سكن متنه، تحرك نتنه. وكذلك الضيف يسمج لقاؤه، إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله، إذا انتهى محله. والسلام "[1].

[1] معجم الأدباء (3/ 1035).

ومن رسائله: "حضرته التي هي كعبة المحتاج، لا كعبة الحجاج. ومَشعَر الكرم، لا مشعر الحرم. ومنى الضيف، لا منى الخيف. وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة "[2].

وله في التعزية: "الموت خطب قد عظم حتى هان، ومس قد خشن حتى لان. والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها، وجنت حتى صار أصغر ذنوبها. فلتنظر يمنة، هل ترى إلا محنة، ثم انظر يسرة هل ترى إلا حسرة"[3].

وما أجدره بقول نفسه في وصف زهير بن أبي سلمي: "يذيبُ الشعرَ والشعرُ يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه"[4].

ما قيل عنه:

قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر عن حاله ووصفه ومحاسن نثره ونظمه: " هو أحمد بن الحسين بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم يرو أن أحداً أبلغ مبلغه من لب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها: أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط، وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً، ولا يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة، ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سردا، وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها.

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع، وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بآخر سطر منه، ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيءٍ وأملحه، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم والنثر، ويروي من النثر والنظم ويعطي القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة،

---

[1] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)- المحقق: د. مفيد محمد قمحية - دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان – ط1 - 1403هـ1983م - (4/ 302).

[2] يتيمة الدهر (4/ 297).

[3] يتيمة الدهر (4/ 298).

[4] مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص: 12) من المقامة القريضية.

ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه، ونفس لا يقطعه"[1].

قلت: وعند النظر إلى مقاماته ورسائله ستجد الإبداع يتجلى، والمعاني تتحنّى، وسرعة البداهة، وفيض القلم، ولطائف القول، وجودة السبك، وحسن النظم، وحلاوة المنطق، وجزالة اللفظ، وبُعد الخيال، وجمال المعنى.

حتى لا تكاد تملّ من مقاماته ورسائله، بل وتستأنس بمجالستها، ومدارسة هذا الأدب الجم، والألفاظ المستوحاة من خالص اللغة وبطون القواميس، تستغلق عنك بعض معاني الألفاظ، فنظرة في القواميس، فإذا بأسرار القول ومعجزات اللفظ تتجلى لك كتجلي العذراء في خدرها، وظهور اللؤلؤ من مكنونه.

وما جرى بينه وبين أبي بكر الخوارزمي من شجارٍ كان سبباً لذيع صيته وشهرته وعلو أمره؛ إذ لم يستطع أحد في زمانهم أن يتصدى لمساجلة أبي بكر الخوارزمي حتى أتى بديع الزمان الهمذاني فتصدى له، وجرت بينهما مكاتبات ومناظرات ومناضلات، وأفرغ كل منهم ما في جعبته من الأدب وحسن القول، واستفرغ كل منهم جهده في ذلك حتى ذُكر الهمذاني في الآفاق وارتفع ذكره ومقداره عند الملوك والرؤساء، ودرّت له بعد ذلك أبواب الرزق، وعندما أجاب الخوارزمي داعي ربه خلا بعد ذلك الجو للهمذاني، وتصرفت به أحوال جميلة، وأسفار كثيرة، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها، وجنى وجبى ثمرتها واستفاد خيرها، ولم يبق أميراً ولا ملكاً ولا وزيراً ولا رئيساً إلا استمطر منه العطاء والنوال، ففاز بذلك وحصل على غرائب الأموال.

ثالثاً: وفاته.

كانت وفاته يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، واختلف في وفاته فقيل مات مسموماً بمدينة هراة، رحمه الله تعالى، وقيل: مات بالسكتة، وعُجّل بدفنه فأفاق في قبره، وسُمع صوتُه بالليل فنبشوا عليه فوجدوه قد مات قابضاً على لحيته من هول القبر.

ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله: هذا آخر الرسائل.

وقال الثعالبي عن وفاته ما نصه:

[1] يتيمة الدهر (4/ 293).

"وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه، وقدِم على آخرته، وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، فقالت عليه نوادب الأدب، وانثلم حد القلم، وفقدت عين الفضل قرتها، وجبهة الدهر غرتها، وبكاه الأفاضل مع الفضائل ورثاه الأكارم مع المكارم على أنه ما مات من لم يمت ذكره، ولقد خلّد من بقي على الأيام نظمه ونثره، والله يتولاه بعفوه وغفرانه، ويحييه بروحه وريحانه، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ما هو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس"[1].[2]

القراءة البلاغية للمقامة الأسدية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

كانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإِسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النُّفُورُ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ العُصْفُورُ، وَيَرْوَي لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رقَّةً، وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الكَهَنَةِ دِقَةً، وَأَنَا أَسْأَلُ اللهُ بَقَاءَهُ، حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ، وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ، مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ، وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهَ، بِأَسِدَادِ دُونَهُ، وَهَلَّمَ جَرًّا، إِلَى أَنْ اتَّفَقَتْ لِيَ حَاجَةٌ بِحِمْصَ فَشَحَذْتُ إِلَيهَا الحِرصَ، في صُحْبَةِ أَفْرادٍ كَنُجُومِ اللَّيلِ، أَحْلاسٍ[3] لِظُهُورِ الخَيلِ، وَأَخذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافَتَهُ، وَنَسْتَأْصِلُ شأْفَتَهُ[4]، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النِّجَادِ[5] بِتِلْكَ الْجِيَادِ، حَتَّى صِرْنَ كَالْعِصِيِّ، وَرَجَعْنَ كَالْقِسِيِّ[6]، وَتَاحَ[7] لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي أَلاءٍ[8] وأَثْلٍ، كَالعَذَارَى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرْنَ الغَدَائِرَ[9]، وَمَالتِ الهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا، وَنَزَلْنَا نُغَوِّرُ وَنَغُورُ[10]، وَرَبَطْنَا الأَفْرَاسَ بِالأَمْرَاسِ[11]، وَمِلنَا مَعَ النُّعَاسِ، فَمَا رَاعَنَا إِلاَّ صَهِيلُ الخَيلِ، وَنَظَرتُ إِلى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنَيهِ، وَطَمَحَ بِعَيْنَيهِ، يَجُذُّ قُوَى الحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ، وَيَخُدُّ خَدَّ الأَرْضِ بِحَوافِرِهِ، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ الأَبْوَالَ، وَقَطَّعَتِ الحِبَالَ، وَأَخَذَتْ نَحْوَ الجِبَالِ، وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلاحِهِ؛ فإِذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ المَوتِ، قَدْ

---

[1] يتيمة الدهر (4/ 296).
[2] وما سبق من الترجمة نقلاً – وبتصرف- عن:
الأعلام للزركلي (1/ 115) - ومعجم الأدباء (1/ 234) - ووفيات الأعيان (1/ 127) - و يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.
[3] أحلاس: جمع حلس بالكسر أصله الكساء تجلل به الدابة تحت البردعة، ثم قيل لمن لزم بيته حلس بيته، ولمن لازموا ظهور الخيل أحلاس، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (15/ 546).
[4] الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو إذا قطعت مات صاحبها، ثم صار استئصال الشأفة مثلاً في محو كل شيء وإزالة أثره، انظر: القاموس المحيط (ص: 1063).
[5] النجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض، وأسنمة جمع سنام، تاج العروس من جواهر القاموس (9/ 201).
[6] القسيّ: جمع قوس.
[7] تاح لنا: أي عرض لنا. القاموس المحيط (ص: 274).
[8] الألاء: شجر مر الطعم ورقه وثمره غير أنه دائم الخضرة حسن المنظر، تاج العروس من جواهر القاموس (1/ 132).
[9] الغدائر للنساء، والضفائر للرجال، لسان العرب (5/ 8).
[10] نغور: أي نأتي إلى الغور والمطمئن من الأرض، ونغور: ننام، انظر معناه: تاج العروس من جواهر القاموس (13/ 269).
[11] الأمراس: الحبال.

طَلَعَ مِنْ غَابِهِ، مُنْتَفِخاً فِي إِهَابِهِ، كَاشِراً عَنْ أَنْيَابِهِ، بِطَرْفٍ قَدْ مُلِئَ صَلَفاً، وَأَنْفٍ قَدْ حُشِيَ أَنَفَاً[1]، وَصَدْرٍ لاَ لاَ يَبْرَحُهُ القَلْبُ، ولاَ يَسْكُنُهُ الرُّعْبُ، وَقُلْنَا خطْبٌ مُلِمٌّ، وَحَادِثٌ مُهِمٌّ، وَتَبَادرَ إِلَيهِ مِنْ سُرْعَانِ الرُّفْقَةِ فَتَىً:

أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيْتِ العَرَبْ يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الكَرَبْ

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدْرٌ، وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثْرٌ[2]، وَمَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الأَسَدِ فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ، حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ، وَتَجَاوَزَ الأَسَدُ مَصْرَعَهُ، إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَدَعَا الْحَيْنَ أَخَاهُ، بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ، فَصارَ إِلَيْهِ، وَعَقَلَ الرُّعْبُ يَدَيهِ، فَأَخَذَ أَرْضَهُ، وَافْتَرَشَ اللَّيثُ صَدْرَهُ، وَلَكِّنِي رَمَيْتُهُ بِعِمَامَتِي، وَشَغَلتُ فَمَهُ، حَتَّى حَفَنْتُ دَمَهُ، وَقَامَ الفَتَى فَوَجَأَ بَطْنَهُ، حتَّى هَلَكَ الفَتَى مِنْ خَوْفِهِ، والأَسَدُ لِلْوَجْأَةِ في جَوفِهِ، ونَهَضْنا فِي أَثَرِ الخَيْلِ فَتَأَلَّفْنا مِنْهَا ما ثَبَتَ، وَتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ، وَعُدْنَا إِلى الرَّفِيقِ لِنُجَهِّزَهُ:

فَلمَّا حَثَونَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقَنَا جَزِعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ

وَعُدْنَا إِلَى الفَلاَةِ، وَهَبَطْنَا أَرْضَهَا، وَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمِرَتِ المَزَادُ، وَنَفِدَ الزَّادُ أَوْ كَادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ، وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلاَ الرُّجُوعَ، وَخِفْنَا القَاتِلِينَ الظَّمَأَ وَالجُوعَ، عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ، وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ، وَلَمَّا بَلَغْنَا نَزَلَ عَنْ حُرِّ فَرَسَهَ يَنْقُشُ الأَرْضَ بِشَفَتَيهِ، ويَلْقِي التُّرَابَ بِيَدَيْهِ، وَعَمَدَنْي مِنْ بَيْنِ الجَمَاعَةِ، فَقَبَّلَ رِكَابِي، وَتَحَرَّمَ بِجَنَابِي، وَنَظَرْتُ فَإِذْا هُوَ وَجْهٌ يَبْرُقُ بَرْقَ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ، وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّل، وَعَارِضٌ قَدِ اخْضَرَّ، وَشَارِبٌ قَدْ طَرَّ، وَسَاعِدٌ مَلآنٌ، وَقَضِيبٌ رَيَّانُ[3]، وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ، وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ، فَقُلْنَا:

مَالَكَ لاَ أَبَالكَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ بَعْضِ الْمُلُوكِ، هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ، فَهِمْتُ عَلى وَجْهِي إِلى حَيْثُ تَرانِي، وَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حالِهِ، على صِدْقِ مَقَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا اليَومَ عَبْدُكَ، وَمَالِي مَالُكَ، فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ، أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ، وَعَيْشٍ رَطْبٍ، وَهَنَأْتْنِي الْجَمَاعَةُ، وَجَعَلَ ينْظُرُ فَتَقْتُلَنَا أَلْحَاظَهُ، وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنَنَا أَلْفَاظَهُ، فَقَالَ: يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الجَبَلِ عَيْناً، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلاَةً عَوْرَاءَ[4]، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ، فَلَوَيْنَا الأَعِنَةَ[5] إِلى حَيثُ أَشَارَ، وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الهَاجِرَةُ[6] الأَبْدَانَ، وَرَكِبَ الجَنَادِبُ الْعِيدَانَ[7]، فَقَالَ: أَلاَ

[1] الأنَف: الكبر.
[2] الأثر: جوهر السيف والعلامة التي فيه واللمعان، المعجم الوسيط (1/ 5).
[3] قضيب ريان: أي عمود بدنه مشبع بماء الحياة وقوة الشباب.
[4] فلاة عوراء: أي لا ماء فيها.
[5] الأعنة: جمع عنان بكسر العين، وهو سير اللجام للدابة الذي يمسكه راكبها.
[6] الهاجرة: شدة الحر أو منتصف النهار.
[7] الجنادب: جمع جندب ضرب من الجراد يقفز ويطير، ويعلو العيدان بسبب شدة الحر، المعجم الوسيط (1/ 140).

تَقِيلُونَ فِي الظِّلِّ الرَّحْبِ، عَلَى هَذا المَاءِ الْعَذْبِ؟ فَقُلْنَا: أَنْتَ وَذَاكَ فَنَزَلَ عَنْ فرسِهِ، وَحَلَّ مِنطَقَتَهُ، وَنَحَى قُرْطَقَتَهُ[1] فَمَا اسْتَرَعَنَّا إِلاَّ بِغِلاَلَةٍ تَنِمُّ عَنْ بَدَنِهِ[2]، فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الوِلْدَانَ، فَفَارَقَ الْجِنَانَ، وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ، وَعَمَدَ إِلَى السُّرُوجِ فَحَطَّهَا، وإِلَى الأَفْرَاسِ فَحَشَّهَا، وإِلَى الأَمْكِنةِ فَرَشَّهَا، وَقَدْ حَارَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ، وَوَقَفَتِ الأَبْصَارُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ فَارَقْتَهُ، وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقْتَهُ، فَكَيفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ؟ فَقَالَ: مَا سَتَرُونَهُ مِنِّي أَكْثَرُ، أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِيَ فِي الجُمْلَةِ؟ فَكَيفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرُّفْقَةِ؟ أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِيَ طُرَفًا، لِتَزْدَادُوا بِي شَغَفًا؟ فَقُلْنَا: هَاتِ: فَعَمَدَ إِلَى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ، وَفَوَّقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَتْبَعَهُ بِآخَرَ فَشَقَّهُ فِي الهَوَاءِ، وَقَالَ: سَأُرِيكُمْ نَوعًا آخَرَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا، وإِلَى فَرَسِي فَعَلاَهُ، وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ، وَآخَرَ طَيَّرَهُ منْ ظَهْرِهِ، فَقُلْتُ وَيْحَكَ[3] مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: اسْكُتْ يَا لُكَعُ[4]، وَاللهِ لَيَشُدَّنَّ كُلٌّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ، أَوْ لأُغِصِنَّهُ بِرِيقِهِ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ، وَسُرُوجَنَا مَحْطُوطَةٌ، وَأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ، وَهُوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ، وَالقَوْسُ فِي يَدِهِ يَرْشِقُ بِهَا الظُّهُورَ، وَيَمْشُقُ بِهَا الْبُطُونَ وَالصُّدُورَ، وَحِينَ رَأَيْنَا الْجِدَّ، أَخَذْنَا الْقِدَّ[5]، فَشَدَّ بَعْضُنَا بَعْضَاً، وَبَقِيْتُ وَحْدِيَ لاَ أَجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي، فَقَالَ: اخْرُجْ بِإِهَابِكَ، عَنْ ثِيَابِكَ، ثِيَابِكَ، فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وجعل يصفع الواحدَ مِنَّا بَعْدَ الآخَرِ، وَيَنْزَعُ ثِيَابَهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدانِ، فَقَالَ: اخْلَعْهُمَا لاَ أُمَّ لَكَ، فَقُلْتُ: هَذا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْباً فَلَيْسَ يُمْكِنُنِي نَزْعَهُ، فَقَالَ: عَلَيَّ خَلْعُهُ، ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ لِيَنْزَعَ الخُفَّ، وَمَدَدْتُ يَدْيِ إِلَى سِكِّينٍ كَانَ مَعْيِ فِي الخُفِّ وَهْوَ فِي شُغْلِهِ فَأَثْبَتُّهُ فِي بَطْنِهِ، وَأَبَنْتُهُ مِنْ مَتْنِهِ، فَمَا زَادَ عَلَى فَمٍ فَغَرَهُ، وَأَلْقَمَهُ حَجَرَهُ، وَقُمْتُ إِلى أَصْحَابِي فَخَلَلْتُ أَيْدِيهِمْ، وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ القَتِيلَيْنِ، وأَدْرَكْنَا الرَّفِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ، وصارَ لِرَمْسِهِ[6]، وَصِرْنَا إِلى الطَّرِيقِ، وَوَرَدْنَا حِمْصَ بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلى فُرْضَةِ مِنْ سُوقِهَا رَأَيْنَا رَجُلاً قَدْ قَامَ عَلَى رأسِ ابْنٍ وَبُنَيَةٍ، بِجِرابٍ وَعُصَيَّةٍ[7]، وهُوَ وهُوَ يَقُولُ:

---

[1] قرطقته: قباء، لسان العرب (10/ 323).
[2] الغلالة: بكسر الغين شعار يلبس تحت الثوب والدرع، تنم عن بدنه: بمعنى تكشف لون بدنه.
[3] ويح: مثل ويل وهي كلمة دعاء بالشر والهلاك. تاج العروس من جواهر القاموس (7/ 220).
[4] لكع: اللئيم، تاج العروس من جواهر القاموس (22/ 160).
[5] القد: هو سير من جلد غير مدبوغ يوثق به الأسرى. لسان العرب (3/ 343).
[6] رمسه: قبره.
[7] عصية: تصغير لـ عصا.

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ
رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهْيَ لاَ شَكَّ خَادِمَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ إِنَّ هَذا الرَّجُلَ هُوَ الإِسْكَنْدَرِيُّ الَّذي سَمِعْتُ بِهِ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ هُوَ، فَدَلَفْتُ إِلَيهِ[1]، وَقُلْتُ: احْتَكِمْ حُكْمَكَ فَقَالَ: دِرْهَمٌ، فَقُلْتُ:

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفَسْ
فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالتَمِس كَيْمَا أُنِيلُ الْمُلْتَمَس

وَقُلْتُ لَهُ: دِرْهَمٌ فِي اثْنَينِ فِي ثَلاثَةٍ فِي أَرْبَعةٍ فِي خَمْسَةٍ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى العِشْرِينَ، ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ مَعَكَ؟ قَالَ: عِشْرونَ رَغِيفاً، فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا، وَقُلْتُ: لاَ نَصْرَ مَعَ الخِذَلاَنِ، وَلاَ حِيلَةَ مَعَ الْحِرْمَانِ.

الشرح العام:

كان يبلغني الكثير من مقامات الإسكندري ومقالاته ما ينجذب لها من لا يحب الاستماع، وما يؤثر ويطرب منه العصفور على عجمته فضلاً عن الإنسان العاقل، ويروى لنا من شعره ما رقّ ولطُف، ويكاد يستغلق حتى على أوهام الكهنة مع دعواهم لعلم الغيب، فأنا أسال الله أن ألتقيَ به، وأنا أتعجب من قدرته على النظم والنثر ومع ذلك لم يصلْ إلى الشرف اللائق به من المكانة والمنزلة، وبقيَتْ أحداثُ الدهر تمنعه عما يهيأ له.

إلى أن وافقتْ لي حاجة في حمص، فشحذتُ همتي مصاحباً أفراداً يشبهون نجوم الليل في الاهتداء بهم، وملازمون للسفر دائماً، فأخذنا بعد ذلك نقطع الطريق وما ارتفع من الأرض على أسنمة خيول جياد، حتى هزِلَت الخيول وصارت تشبه العصي في اليبوسة، والأقواس في التلوي والانحناء من شدة التعب.

عرض لنا وادٍ فيه شجر مرّ الطعم، غير أنه دائم الخضرة وحسن المنظر، يشبه العذارى في الاستقامة والتدلي وهنّ يسرحن ذوائبهن، وألجأتنا شدة الحر إلى تلك الأشجار للاستظلال تحتها، ونزلنا ما انخفض من الأرض لننام فيه، وربطنا الخيول بالحبال ونمنا بعد ذلك.

فما أفزعنا إلى صياح الخيل، ونظرتُ إلى فرسي وقد رفع أذنيه، ورمى بعينيه إلى مكان الخوف، وهو يحاول قطع الحبل بمشافره، ويشق الأرض بحوافره، ومن شدة ذلك قطّعت الحبال وهربتْ باتجاه الجبال،

[1] دلفت إليه: أي أسرعت نحوه.

وفزع كلٌ منا إلى سلاحه، فإذا بالأسد قد طلع من غابته، مكشراً عن أنيابه، وهو يرمينا بنظرات مُلئت بالقوة وشدة البأس، وأنفٍ قد امتلأ كبراً، وصدرٍ يسكن فيه القلب جرأة وشجاعة، ولا يعرف الرعب والخوف، فقلنا عند ذلك: هذا أمر مهم وخطير، فأسرع إليه من الرفقاء فتى من أوصافه:

أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيْتِ العَرَبْ يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الكَرَبْ

أي: هذا الفتى أسمر اللون – وهو لون خاص بالعرب– يملأ الدلو إلى قمته من شدة قوته، ولهذا الفتى قلبٌ ساقه القدر إلى مصاولة الأسد وبسيفٍ كأنه جوهر في جودته، فتمثّلت له صورة الأسد فزلقت قدماه وسقط على فمه وصرعه، وتجاوز بعد ذلك إلى شخصٍ آخر فافترش الأسد صدره، ولكنّي شغلته برمي العمامة نحو فمه، وقام الفتى فشق بطن الأسد، ولا يزال يُعمِل الشفرة في جوفه حتى كاد يُهلك نفسَه من شدة خوفه، وهلك الأسد بالفعل من الطعنة التي أصابته، وتبعنا الخيل لنمسك منها ما استطعنا، وعدنا إلى الرفيق لتغسيله وتجهيزه لدفنه:

فَلمَّا حَثَونَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقَنَا جَزِعْنَا وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ

أي: فلما صببنا التراب فوقه بعد وضعه في اللحد خُفْنا وحزنا عليه.

ومن ثَمّ عدنا إلى الصحراء الواسعة ومشينا حتى فني الزاد أو كاد أن ينفد، وعند توسطنا للصحراء لم نستطع الذهاب أو الرجوع، وخفنا أن يهلكنا العطش أو الجوع، فجأة إذا بفارس يظهر لنا فاتجهنا نحوه، ووصل إلينا وقصدني من بين الرفقاء بالتقبيل والإكرام، وجعل ينظر إليّ ووجهه يلمع لشدة نقاوة بياضه كأنه البرق اللامع، وقَوَامه فيه من الحسن بحيث إذا ارتفعتِ العين للنظر إلى أعلاه انحطت للنظر في أدناه، وساعده مليء باللحم قوةً وجَلَدا، وطوله مشْبع بماء الحياة، وأصله تركي، ولبسه لبس ملوك، فقلنا له: ما شأنك؟

فقال: أنا خادم لأحد الملوك عزم على قتلي، فأنا هائم على وجهي لا أدري أين أتجه، ويظهر عليه صدق ما يقول.

ثم قال: أنا اليوم خادم لك ومالي مالك، فقلت له: أبشر بخير وبشرى لك، فقد أتى بك السير إلى كريم لا تخشى في جواره ضيقاً ولا شدة، بل إلى سهولة ورغد، عند ذلك هنّأني القوم به وبخدمته، وجعل ينظر بعيونٍ فاتنة، وينطق بكلام حسنٍ يجذب القلوب، فقال: يا سادة إنه يوجد عينٌ ينبع منها الماء في سفح

الجبل، فتزودوا منه، فاتجهنا نحو ما قال، وقد أذابت شدة الحر أبدانهم وانتشرت الحشرات من جراء ذلك، وقال:

ألا تقيلون في هذا الظل الواسع، على الماء العذب؟ فنزل عن فرسه وحلّ حزامه وعمامته، فظهر جماله وازداد حسنه حتى شككنا أنه من خدم أهل الجنة، وأنه أتى منها وأفلت من رضوان ونزل إلى الدنيا، وأنزل السروج من على ظهر الخيل وأعطاها الحشيش، ورشَّ الأرض، فتعجبت من خدمته وحسن مقاله، ثم قلت له: الويل أيها الشاب لمن فارقته، وهنيئاً لمن رافقته، فكيف شُكرك بربك؟

فقال: أتتعجبون من خدمتي وحسن منطقي؟ لو رأيتموني وأنا أحمي رفاقي لكان عجبكم أشد، ولزادت محبتكم لي، فقلنا: هات، فأخذ قوس أحدنا فرمى بسهمٍ إلى السماء، وأتبعه بسهم آخر أصابه وشقه نصفين، وقال: سأريكم نوعاً آخر، ثم اتجه إلى وعاء سهامي فأخذها، وإلى فرسي فركبه، ورمى أحدنا بسهم أصابه في صدره، ورمى آخر فأصابه حتى خرج من ظهره، فقلت: أهلكك الله ما تصنع؟ قال: اسكت يا لئيم، والله ليقيدنّ كل منكم يد صاحبه أو لأخنقنّه حتى الموت، فلم ندرِ ما نصنع وأفراسنا مربوطة، والسروج محطوطة على الأرض، وسلاحنا بعيد منا، وهو راكب على الخيل ونحن مترجلين، والقوس في يده يرمينا بها، عند ذلك أدركنا بأنه جادّ فيما يصنع، فشدّ كل منّا صاحبه، وبقيت وحدي، فقال: انزع ثيابك من جسمك فاستجبت لذلك، ونزل عن فرسه وجعل يلطم الواحد منّا بعد الآخر وينزع ثيابه، وأتى إليّ وعليّ خفان جديدان، فقال: اخلعهما، فقلت: هذا خفٌ لبسته رطباً فلا أستطيع نزعه، فقال: عليّ خلعه، ثم اقترب مني لينزع ذلك الخف، ومددتُ يدي إلى سكينٍ فطعنته في بطنه، فما زاد على أن فتح فمه من ألم الموت وألقمه حجراً.

ثم قمت إلى أصحابي فحللت أيديهم، وتوزعنا سلبَ القتيلين، وأدركنا صاحبَنا وقد فارق الحياة، ومضينا في طريقنا حتى وصلنا بلد حمص بعد خمس ليالٍ، فلمّا بلغنا مشارفها رأينا رجلاً قد قام على رأس ابنٍ وبنت له معه جراب، وهو يقول:

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ

رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ

إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهْيَ لاَ شَكَّ خَادِمَهْ

يدعو بالرحمة لمن أدخل في جرابه شيئاً مما تجود به نفوس الناس، ويرحم الله من نظر إلى سعيد وفاطمة بعين الرحمة، فهو خادم لكم وهي كذلك خادمة.

ثم قال عيسى بن هشام: قلت إن هذا الرجل هو الإسكندري الذي سمعت به، فإذا هو فأسرعت إليه، وقلت له: مالي في يديك فخذ منه ما تشاء، فقال: درهم.

قلت له: لك درهم واثنين وثلاثة و... حتى انتهيت إلى العشرين، ثم قلت: كم معك؟ قال: عشرون رغيفاً، فأمرت له بها، وقلت: لا يمكن أن يأتي النصر ونحن نَخذلُ ضعفاءنا، ولا حيلة من حرمان الآخرين من الخير الذي بين أيدينا.

المبحث الأول

القراءة البيانية للمقامة الأسدية.

قوله: **(كان يبلغني من مقامات الإسكندري ومقالاته ما... وينتفض له العصفور)**، شبه ما يحدث في النفس من الطرب والتأثر بمقامات الإسكندري بانتفاض العصفور، ووجه الشبه هو شدة التأثر والارتجاف، على سبيل التشبيه البليغ.

قوله: **(وقد ضرب الدهر شؤونه بأسدادٍ دونه)**، في إسناد الضرب إلى الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية، وشبه إحداث البعد بينه وبين الإسكندري بالضرب بجامع تحقق البعد عن طريق سدود تحول بينه وبين الإسكندري.

قوله: **(فشحذتُ إليها الحرص)**، شحذ السكين: حددها للقطع، فشبه الحرص بـــ بآلة في بلوغ الأمر المراد تحصيله، على سبيل الاستعارة المكنية، إذ لم يصرح بالمشبه به، وإنما أتى بشيء من لوازمه هو الشحذ.

قوله: **(في صحبة أفراد كنجوم الليل)**، تشبيه مرسل مجمل، حيث شبه أصحابه بنجوم الليل في الإضاءة والاهتداء والاستئناس.

قوله: **(في صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاسٍ لظهور الخيل)**، (أحلاس لظهور الخيل)، الحِلس: الكساء الذي تجلل به الدابة تحت البردعة، بمعنى: أنه شبه أصحابه بهذا الكساء الذي يلازم ظهور الخيل في كثرة ملازمتهم لظهور الخيل، فهو تشبيه بليغ، وفيه أيضاً كناية عن فروسيتهم؛ لأنه يلزم من ملازمتهم ظهور الخيل الفروسية ودوام الغزو والعدو عليها.

قوله: **(وأخذنا الطريق ننتهب مسافته)**، (أخذنا) فيه استعارة مكنية تبعية، حيث شبه الطريق بشيء حسيٍ يؤخذ، فحذف المشبه به وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو الأخذ، واستعار لفظ (ننتهب) للإسراع في فناء الطريق، كما يفعل نهبة الأموال في تبديدها، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: **(ونستأصل شأفته)**، الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فينقطع أثرها، فقد صوّر محو الطريق والإسراع فيها بالاستئصال للشيء، مبالغة في السير عليها وسرعة قطعها، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: **(ولم نزل نفري أسنمة النجاد بتلك الجياد)**، نفري: نقطع، النجاد: ما ارتفع من الأرض، استعار أسنمة الإبل لما ارتفع من الأرض، بجامع الارتفاع في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: **(حتى صرن كالعصي، ورجعن كالقسيّ)**، بمعنى: ضمُرتِ الخيلُ وهزلت حتى صارت كالعصي في الرقة واليبوسة، وكالقسي (جمع قوس) في التلوي والانحناء، وكل ذلك من شدة التعب، والتشبيهان من باب التشبيه المرسل المجمل.

قوله: **(وتاح لنا وادٍ في سفح جبلٍ ذي ألاءٍ وأثلٍ، كالعذارى يسرحن الضفائر)**، ألاء: شجر مر الطعم دائم الخضرة حسن المنظر، والأثل معروف، شبه تلك الأشجار في استقامتها وتدلي أفنانها بالعذارى أي: الأبكار اللاتي يسرحن ضفائرهن وينشرن غدائرهن أي: ذوائبهن.

قوله: **(ومالتِ الهاجرة بنا إليها)**، إسناد الميلان إلى الهاجرة مجاز عقلي علاقته تصلح أن تكون زمانية إن قصد وقت الهاجرة، وممكن أن تكون مكانية إن قصد الظل من الشمس.

قوله: **(وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلاحِهِ)**، استعار لفظ الطيران للإسراع، والجامع بينهما السرعة في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وهي تصوير حسن لمدى الفزع الذي حلّ بهم عند رؤية الأسد فجأة.

قوله: **(وَنَظَرتُ إِلى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنَيهِ، وَطَمَحَ بِعَيْنَيهِ)**، (أرهف أذنيه، وطمح بعينيه)، كناية عن فزعه لرؤية السبع وخوفه من ذلك.

قوله: **(يَجُدُّ قُوَى الحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ)**، فيه مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ ذكر الجزء وهو المشافر وأراد الكل وهو الفم بما في ذلك الأسنان.

قوله: **(وَيَخُدُّ خَدَّ الأَرْضِ بِحَوافِرِهِ)**، (خد الأرض)، استعار لفظ الخد للظاهر الأرض أو لسطحها، بمعنى: شبه الأرض بأنها إنسان أو حيوان من شأنه أن له خداً، فلم يصرح بلفظ المشبه به، وإنما أتى بشيء من لوازمه وهو الخد، على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله: **(اضْطَرَبَتِ الخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ الأَبْوَالَ)**، (أرسلت الأبوال)، فيه كناية أيضاً عن الخوف والفزع الذي حلّ بها من الأسد.

قوله: **(فإذا السبُع في فروة الموت)**، شبه الأسد بالموت نفسه الذي يشتمله فروة أو إيهاب، ووجه الشبه هو قهر النفوس واغتيالها.

قوله: **(منتفخاً في إهابه)**، كناية عن الكبرياء والصلف.

قوله: **(بطرْفٍ قد مُلئ صلفا، وأنفٍ قد حشيَ أنَفَاً)**، استعار لفظ (مُلئَ) الذي هو من شأن الوعاء المحسوس لظهور الحقد في العينين، ولفظ (حُشيَ) الذي هو من شأن المحسوس لبروز وظهور الكبر في الأنف، فهي صورة رائعة في تجسيد الطرف وهو ممتلئ حقداً، والأنف وهو ممتلئ كبرياء.

قوله: **(وصدرٍ لا يبرحه القلب، ولا يسكنه الرعب)**، كناية عن أن الجرأة والشجاعة لا تفارق الأسد، وكأن الجبان يفارق قلبُه صدره عند الفزع، بخلاف الأسد الذي لا يفزعه شيء ولا يذهب بقلبه.

قوله: **(فخانته أرض قدمه)**، شبه الأرض بالإنسان الذي من شأنه الخيانة والمعاهدة، حيث كأنها كانت قد عاهدته على أن تحمل له قدمه، ثم خانته بأن أزلقته فسقط منكباً على يديه وفمه، على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله: **(حتى سقط ليده وفمه)**، كناية عن انكبابه على وجهه، وهو مأخوذ من قول قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله:

وأشعث قوّام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

ضممت إليه بالسّنان قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم[1]

قوله: **(عقل الرعبُ يديه)**، أسند اعتقال اليدين إلى الرعب؛ لأن الرعب والخوف سبب في اضطراب الأعضاء وعجزها، فهو مجاز عقلي علاقته السببية.

[1] شرح شواهد المغني - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، علق عليه: أحمد ظافر كوجان - الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي - لجنة التراث العربي - ط: بدون،1386 هـ - 1966م.

قوله: **(وسرنا حتى إذا ضمرتِ المزادُ)**، ضمور المزاد كناية عن فراغها من الماء.

قوله: **(ينقش الأرض بشفتيه)**، أسند النقش إلى الفرس بشفتيه، وهو كناية عن أنه يقبلها.

قوله: **(ونظرتُ فإذا هو وجهٌ يبرقُ برق العارض المتهلل)**، تشبيه بليغ، حيث شبه لمعان بريق وجهه بمثل لمعان برق السحاب الممطر، ووجه الشبه هو اللمعان والبياض في كل منهما، ومن عباراتهم تشبيه الوج بالماء في صفائه، وصفحتي الخد بالعارضين وهو المراد هنا.

قوله: **(وقوام متى ما ترقَ العينُ فيه تُسهل)**، كناية عن هجوم الحسن لقوامه وشموله له، فلا يكاد البصر يرتفع إلى أعاليه حتى ينجذب للتمتع برؤية أسفله.

قوله: **(وَسَاعِدٌ مَلآنٌ)**، كناية عن قوته الناتج من شدة امتلاء ساعده باللحم.

قوله: **(وقضيبٌ ريّان)**، شبه قوامه بقضيب العود في القوام والاعتدال، على سبيل الاستعارة التصريحية، و(ريّان)، من الارتواء والمشبع بشرب الماء، والماء هنا ماء الحياة وقوة الشباب، وليس الماء الحقيقي.

قوله: **(فهمتُ بوجهي إلى حيث تراني)**، شبه ذهابه وهو لا يدري أين يتجه بالهيام، وهو ما يكون من شأن العطشان في طلب الماء، بجامع عدم الاهتداء في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قوله: **(وعيش رطبٍ)**، كناية عن سهولة العيش ورغده ونعومته.

قوله: **(وجعل ينظر فتقتلنا ألحاظُه)**، استعار لفظ القتل لقوة التأثير فيهم من خلال عذوبة كلامه وحسن نظراته.

قوله: **(يا سادة إن في سفح الجبل عيناً)**، العين هنا ليست العين حقيقة، وإنما عين الماء ونبعه، على سبيل المجاز اللغوي.

قوله: **(وقد ركبتم فلاة عوراء)**، العوراء: أي التي لا ماء فيها، وكأن العرب جعلت الأرض ذات العيون الجارية بمنزلة الحية الأنثى من ذوات الباصرة، وكما يقال لمن فقدت عينها من البواصر عوراء قيل للفلاة إذا فقدت ماءها عوراء أيضاً، بمعنى أنه استعار لفظ العَوَر للصحراء التي لا ماء فيها، بجامع عدم وجود الفائدة في كل، على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله: **(فلوينا الأعنة إلى حيث أشار)**، الأعنة: جمع عنان بكسر العين، وهو سير اللجام للدابة الذي يمسكه راكبها به، وليّ الأعنة كناية عن تحويل السير إلى الجهة التي أشار إليها.

قوله: **(وركب الجنادب العيدان)**، الجنادب نوع من الجراد يهلك من البرد ويفرح للحر ويتعرض للشمس، والجملة فيها كناية عن شدة الحر واشتداد ذلك في الظهيرة.

قوله: **(أو لأغصّنّه بريقه)**، كناية عن إيقاعه في شدة لا منفذ منها، تجعل أسهل الأشياء تناولاً أصعبها.

قوله: **(فما زاد على فمٍ فغره، وألقمه حجرة)**، (فغر الفم) كناية عن صفة الصياح من شدة الألم، فهي كناية عن صفة، حيث صرح فيها بالموصوف وهو الضمير المستتر، ونسب إليه فغر الفم.

قوله: **(وألقمه حجرة)**، كناية عن السكوت التام بعد طعنه بالسكين، وهنا كناية عن صفة أيضاً، حيث صرح بالموصوف (الضمير)، ونسب إليه التقام الحجر.

قوله: **(رحمَ اللهُ من حشى في جرابي مكارمَه)**، جعل كون المكارم واسطة لإيصال العطايا، لذلك جعلها تحشى في الجراب وتملأ به الأوعية، مجاز مرسل علاقته السببية، حيث أطلق السبب (المكارم) وأراد المسبب وهي العطايا والنوال التي تملئ الجراب.

قوله: **(مادام يسعدني النفَس)**، كنّى بالنَفَس عن الحياة، فهي كناية عن صفة الحياة، بمعنى ما دامت الحياة فيه ويدب النفس فيه.

المبحث الثاني

القراءة لمواضيع علم المعاني في المقامة الأسدية:

أولاً: الأسلوب الخبري:

جُلّ المقامة أسلوب خبري، حيث هي بمثابة رواية لأحداث حصلت، وتوالت، فهو يتمنى لقاء الإسكندري، لينال ضرباً من بديع كلامه وبلاغته، وحسن منطقه، ثم يأتي بجملٍ خبريةٍ، وهي رواية رؤية الأسد فجأة، مصوراً تلك الحادثة والخطب الجَلَل، وكلها أخبار متسارعة انتهت بنجاة بعضهم من الأسد، ثم انثنى بالكلام عن ظهور فارس يظهر عليه ويتوسم فيه الخير والصلاح، فشرع يستأمنهم ويطمئنهم بحسن منطقه، ولطف خدمته وتفانيه في ذلك، فجأة فإذا به يتحوّل إلى لصٍ صائل، يريد ما لديهم من المال، والفتك بهم، ثم خلّصهم الله منه.

فيبتدئ المقامة بالجملة الخبرية التي تفيدنا بـــ فائدة الخبر؛ إذ هو خبر لأول وهلة يريد أن يشنّف آذاننا به، ولم نسمعه من قبل، فيقول: **(كانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإِسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النُّفُورُ)**، وهو بهذا الخبر يريد أن يشوّقنا إلى سماع شيء من قصة هذا الرجل الذي دائماً ما يجعله أسطورة

حكايته ومقاماته التي يتحفنا بها، ثم يقول: كيف السبيل إليه وهو لا يدري أين هو: **(وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهَ، بِأَسِدَادِ دُونَهُ)**، جملة خبرية ابتدائية مشتملة على مؤكدٍ واحد.

ثم يتنقّل من موقفٍ إلى موقف، وهو يسرد هذا الخبر، تارة يأتي بمؤكدٍ واحد، وآخر بمؤكدين حتى أنهى هذا الخبر بجملة خبرية اختتم بها مقامته فقال: **(لاَ نَصْرَ مَعَ الخِذْلاَنِ، وَلاَ حِيلَةَ مَعَ الْحِرْمَانِ)**.

ثانياً: الأسلوب الإنشائي:

يوجد في هذه المقامة أساليب إنشائية قليلة، حيث تكاد تكون محصورة في أسلوبي الأمر والاستفهام، وبضعة نداءات.

أ/ الأمر:

مما يصاغ منه الأمر اسم فعله، فمن هذا قوله: **(هَاتِ)** جواباً من الرفقة عندما سألهم اللصّ بقوله: **(أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِيَ فِي الجُمْلَةِ؟)**، ويبدو أن الأمر هنا حقيقي؛ إذ يطلبون منه المزيد من القول والخدمة على سبيل الالتماس لأنه رفيقهم.

وقوله: **(اسْكُتْ يَا لُكَعُ)**، أمر حقيقي.

وقوله: **(اخْلَعْهُمَا لاَ أُمَّ لَكَ)**، والأمر هنا حقيقي، وصيغته فعل الأمر.

(اخْرُجْ بِإِهَابِكَ، عَنْ ثِيَابِكَ)، أيضاً أمر حقيقي.

وقوله: **(فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالتَمِس)**، أمر المراد منه ترغيب المخاطب بالاستكثار من الطلب، وأنه مهما استكثر عليه فلا يبالي بذلك، فسيعطيه ما أراد؛ إذ هو بغيته ومقصده من بداية المقامة التي تحدث عنها أنه يريد مصادفته وتمنى لقاءه.

(احْتَكِمْ حُكْمَكَ)، أمر الغرض منه وقصده هو الإكرام لهذا الرجل، الذي يقصده لبلاغته وحسن بيانه ومنطقه، الذي تحدث عنه في أول المقامة، فهو يعرض عليه بما يشاء ويطلب فهو سينجزه ما أراد.

ب/ الاستفهام:

قوله: (وَلَكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ)، على اعتبار أن تكون (أيّ) استفهامية، فهي هنا تفيد التهويل في أمر ساعة جزعهم، كأنها غير معروفة لهم فهم يتساءلون عنها.

قوله: **(مَالَكَ لاَ أَبَالَكَ؟)**، استفهام يحمل في طياته الدهشة والتعجب من حال هذا الرجل، ومن التفاني في خدمته مع حسن منظره وثيابه.

قوله: **(أَلاَ تَقِيلُونَ فِي الظِّلِّ الرَّحْبِ، عَلى هَذا المَاءِ الْعَذْبِ؟)**، استفهام يراد منه الترغيب والتشويق لذلك الظل والماء العذب واستمالتهم إليه، ومن ثمّ كسب ثقتهم بعرضه لهم هذا الأمر.

قوله: **(فَكَيفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى الْنِعْمَةَ بِكَ؟)**، استفهام غرضه البلاغي الأمر والحث له على شكر الله مقابل تلك النعمة التي حلّت به، من حسن المنطق، ولطف الخدمة، وطيب رفقته، والسر البلاغي في مجيء الاستفهام بصورة الأمر؛ أن في ذلك إغراء للمخاطب وحثاً له على الاستجابة وقبول الأمر.

قوله: **(أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِيَ فِي الجُمْلَةِ؟ فَكَيفَ لَوْ رَأَيْتُمُونِي فِي الرُّفْقَةِ؟ أُرِيكُمْ مِنْ حِذْقِيَ طُرَفًا، لِتَزْدَادُوا بِي شَغَفًا؟)**، الاستفهام الأول (أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتي فِي الخِدْمَةِ، وَحُسْنِيَ فِي الجُمْلَةِ؟) الغرض منه إظهار التعجب من اندهاشهم له، والاستفهامات البقية المراد منها التلطف لهم لكي يسمحوا له بمرافقتهم.

قوله: **(وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ؟)** استفهام غرضه البلاغي الإنكار على فعله القبيح، وهو إثبات السهم في صدر رفيقهم، وإظهار الخوف من سرعة التغير في سلوكه وأخلاقه.

قوله: **(كَمْ مَعَكَ؟)** يظهر أنه استفهام حقيقي عن العدد.

ج/ النداء:

(يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الجَبَلِ عَيْنًا، وَقَدْ رَكِبْتُمْ فُلاَةً عَوْرَاءَ، فَخُذُوا مِنْ هُنَالِكَ الْمَاءَ)، يفهم من خلال السياق أن مراد الفارس بهذا النداء هو إغراءهم بالماء الذي في سفح الجبل، بدلاً من المكوث في الصحراء القاحلة التي لا ماء فيها.

(يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ)، نداء غرضه البلاغي هو التعجب، فهو متعجب من حال حسن خدمة الفارس الفتى.

ثالثاً: أحوال المسند والمسند إليه.

قوله: **(فإذا السبع في فروة الموت)**، قدم هنا المسند إليه (السبع) كون المتقدم محطّ الغرابة، بعد أن تم الحديث عنه وما الذي حلّ بالخيل من خوف وفزع، وطار كل منهم إلى سلاحه.

قوله: **(وَقُلْنَا خطْبٌ مُلِمٌ، وَحَادِثٌ مُهِمٌ)**، تنكير كلاً من المسند (ملمٌ – مهمٌ) والمسند إليه (خطبٌ – حادثٌ) أفاد التعظيم للخطب وللحادث المرعب، وأنه قد بلغ درجة لا يمكن تخيّلها.

قوله: **(وقوامٌ متى ما ترق العينُ...، وعارضٌ قد اخضرّ، وشاربٌ قد طرّ، وساعدٌ ملآن، وقضيبٌ ريان، ونجارٌ تركي، وزيّ ملكي)**، تعمّد بديع الزمان هنا ذكر المسند إليه وتنكيره لغرض تعظيم هذا الفارس الذي عنّ لهم وظهر، فهو عظيم في نظرهم على ما ظهر لهم في بداية الأمر، فشاربه جديد وطريّ، وساعده ممتلئٌ لحماً قوةً وجَلَداً، وعمود بدنه عظيم، وأصله تركي، وزيّه وهيئته هيئة ملوك.

قوله: **(وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ، وَسُرُوجَنَا مَحْطُوطَةٌ، وَأَسْلِحَتُنْا بَعِيدَةٌ، وَهْوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ)**، جميع المسند في السياق جاء بصيغة التنكير (مربوطةٌ – محطوطةٌ – بعيدةٌ – راكبٌ – رجّالةٌ)، وذلك تفخيماً وتعظيماً لشأن المأزق الذي حلّ بهم، من ربط الأفراس وكون السروج محطوطة، وأنهم بعيدون عن الأسلحة لا يمكن التمكّن منها، ثم عظّم شأنه في هيئته بأنه راكب بينما هم يمشون على أقدامهم.

قوله: **(وعليّ خفان جديدان)**، تقديم المسند على المسند إليه لتخصيص الخفان به، فهو مختص به وبملكيته، ثم جاء بعد ذلك الجواب بتقديم آخر حينما قال له: اخلعهما لا أم لك، فقال: **(عليّ خلعه)**، ويقصد من التقديم هذا المساءة نكاية بالمخاطب الذي يعارضه في الخلع.

قوله: **(لك درهم في مثله)**، قُدّم المسند (لك) على المسند إليه (درهم)، لتعجيل المسرّة للمخاطب بعد أن طلب منه ذلك بأن قال له: **(احتكم حكمك، فقال: درهم)**.

رابعاً: القصر.

تكلمنا من قبل في تقديم ما حقه التأخير الذي له علاقة بأسلوب القصر، إذ هو أحد طرقه، وأما طريقة النفي والاستثناء في المقامة التي نحن بصددها، منها قوله: **(فما راعنا إلا صهيل الخيل)**، فأفاد بهذا الحصر والقصر:

أولاً: الإيجاز بدلاً من التفصيل في حقيقة ذلك الفزع والخوف الذي حلّ بالخيل.

ثانياً: المبالغة التي تُدرَك من جملة النفي والاستثناء تأكيداً للخوف والفزع الذي وقع عليه.

ثالثاً: أيضاً فيه دلالة على شهرة الفزع وذيوع صهيل الخيل من هول ما رآه.

ومنها قوله: **(فما استترَ عنّا إلاّ بغلالة تنمُّ على بدنه)**، والمراد أن ما استتر من بدنه واختفى تكشف لون بدنه كأنها تصفه وتتحدث عن جماله الذي جمّله الله به، فهو أسلوب قصر فيه من المبالغة الشيء الكثير في وصف جماله، وفيه إيجاز بدلاً من التفصيل في ذلك اختُصر في بضع كلمات.

خامساً: الفصل والوصل.

من أهم مواضيع علم المعاني (الفصل والوصل)، الذي هو مختص بوصل الجمل بعضها ببعض بحرف العطف (الواو) خاصّة، وفي المقابل فصلها وترك العطف به، ومن ذلك في هذه المقامة:

قوله: **(أخذنا الطريق، ننتهب مسافته)**، في الجملتين فصل حيث لم ترتبط الجملتان بالواو؛ لأن بينهما كمال اتصال، فالثانية فيه بيان للأولى وتفسير لها وتأكيد.

قوله: **(فأرسلتِ الأبوالَ، وقطعتِ الحبالَ)**، وُصلتِ الجملة الثانية بالأولى لتطابقهما في الخبرية لفظاً ومعنى، ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصل، وبينهما مناسبة تامة في المعنى؛ إذ كلاهما نتيجة للجملة السابقة (ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الخَيْلُ)، فبينهما تمام اتصال.

قوله: (في صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاسٍ لظهور الخيل)، فُصلت الجملة الثانية عن الجملة الأولى لما بينهما من كمال اتصال؛ إذ شبه أصحابه في الأولى بالنجوم، وفي الجملة الثانية بالكساء الذي تُجلّل به الدابة تحت البردعة، في الملازمة، بمعنى أن الثانية بمثابة تأكيد للأولى، فالمانع من العطف هو اتّحاد الجملتين اتحاداً تاماً، وامتزاجاً معنوياً.

سادساً: الإيجاز الإطناب.

أما إيجاز القصر الذي هو تقليل الألفاظ مع كثرة المعاني[1] ففي المقامة الشيء الكثير، وسنقتصر على بعض النماذج منها:

قوله: **(هلمّ جرا)**، فيه إيجاز قصر، أي: هذا الكلام يجر بعضه بعضاً إلى نهايته، وأصل هذه الجملة تعني: "تَعَالوا على هِينَتكم كما يسهل عليكم، وأصل ذلك من الجر في السَّوْق، وهو أن تترك الإبل والغنم ترعى في سيرها، قال الراجز:

لطالما جَرَرْتُكُنَّ جَرَّا حتى نَوَى الأَعْجَفُ وَاسْتَمَرَّا

فَاليَوْمَ لاَ آلُو الركاب شرّا"[2].

[1] الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 175). علم المعاني (ص: 176).

[2] مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: 518هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت، لبنان- (2/ 402).

وفي قوله: **(حتى صرنَ كالعصيّ، ورجعنَ كالقسي)**، إيجاز حذف، وهو: " ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف"[1]، حيث حذف هنا وجه الشبه مكتفياً بما يفهمه القارئ من اليبوسة التي تصيب الإبل، ومن التلوي والانحناء من شدة التعب.

وقوله: **(وعدنا إلى الرفيق لنُجهّزه)**، فيه إيجاز أيضاً، أي: نغسله ونكفنه، ونقوم بالواجب علينا تجاه الميت، من دفنه بعد ذلك.

قوله: **(بشرى لك وبك)**، فيه إيجاز حذف، حيث تقدير الكلام: بشرى بقدومك، وبشرى ومرحباً بك.

قوله: **(كانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإِسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النُّفُورُ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ العُصْفُورُ، وَيَرْوَي لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رقَّةً، وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الكَهَنَةِ دِقَةً)**، يعرّف الإطناب بأنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[2]، وهنا حاول صاحب المقامة أن يبالغ في وصف الإسكندري ويتحدث عنه بأنه صاحب بلاغة وبيان في منطقه، فأكثر من ذلك والمعنى واحد، وكل ذلك ليشد المخاطب إلى الاستماع لما سيقوله عنه، ويتفنن في القول، وتركيب الجمل، وصياغة العبارات.

قوله: **(كَالعَذَارَى يُسَّرِحْنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرْنَ الغَدَائِرَ)**، فيه إطناب، نوعه التكرير، حيث (الضفائر والغدائر) بمعنى واحد: الذوائب، (ويسرحن – وينشرن) بمعنى متقارب؛ والغرض البلاغي تقرير المعنى في نفس المخاطب مرة بعد مرة.

قوله: **(وَنَظَرتُ إِلى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنَيهِ، وَطَمَحَ بِعَيْنَيهِ، يَجُذُّ قُوَى الحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ، وَيَخُدُّ خَدَّ الأَرْضِ بِحَوافِرِهِ، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الخَيْلُ فَأَرْسَلَتِ الأَبْوَالَ، وَقَطَّعَتِ الحِبَالَ، وَأَخَذَتْ نَحْوَ الجِبَالِ)**، أطنب في وصف حال الخيل عندما شاهدَت الأسدَ مقبلاً عليهم، بل واسترسل في الكلام، وأظهر مقدرته اللغوية، وتفنّن في وصف أُذُن الخيل وعينيها، وتقطيعها للحبل بمشافرها، وحفرها للأرض، وإرسالها للأبوال وقطع الحبال، وأخيراً هروبها وذهابها نحو الجبال.

وهو إطناب حاول بديع الزمان أن يصور المشهد بكلام بديع وحسن، وكان بالإمكان أن يكتفي أن الخيل فزعت وخافت.

---

[1] علم المعاني (ص: 178).

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد (2/ 120).

قوله: **(فإذَا السَّبُعُ فِي فَرْوَةِ المَوتِ، قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ، مُنْتَفِخاً فِي إِهَابِهِ، كَاشِراً عَنْ أَنْيَابِهِ، بِطَرْفٍ قَدْ مُلِئَ صَلَفاً، وَأَنْفٍ قَدْ حُشِيَ أَنَفاً، وَصَدْرٍ لاَ يَبْرَحُهُ القَلْبُ، ولاَ يَسْكُنُهُ الرُّعْبُ)**، وهذا أيضاً من الإطناب، فقد أسهبَ في وصف ذلك الأسد وإهابه وأنيابه، وطرفه، وأنفه، و... والغرض من ذلك تصوير المشهد وتخويف المخاطب والقارئ، وشد انتباهه نحو هذا الحدث المرعب والمخيف من منظر الأسد الكاسر.

وشرع بعد ذلك يصور ويطنب في الحدث الذي حصل لرفقائه، فأما الأول فقد خانته قدمه وسقط لفمه، وصرعه الأسد، وأما الآخر فقد شغل الأسد بعمامته وحقن دم صاحبه.

وتكاد تنظر المقامة من أولها إلى آخرها وهي تُسرد بإسهاب وإطناب، وعرض مشهد تلو مشهد، وحادثة تلو حادثة، وموقف يتلوه موقف.

المبحث الثالث

القراءة البديعية للمقامة الأسدية.

لما نقول: (المقامات تميّزت بألوان البديع)، أي: أنها مثقلة بالمحسنات البديعية، مفعمة بالفكاهة والتهكم، والحرص على متانة الأسلوب، وإظهار البراعة اللغوية المتمثلة في سعة المعجم اللفظي، وكثرة التسجيع والجناس والتوازن والتوريات والمبالغة... وغير ذلك من ألوان المحسنات المعقدة، ولزوم ما لا يلزم، مع حلاوة التصوير وإبراز بعض الأوضاع الاجتماعية، وتدبير المآزق للبطل ثم إخراجه منها بذكاء ولوذعية[1]، وهذه هي المقدرة اللغوية البارعة، التي يتقنها بعض الكُتّاب المشهورين، ومنهم بديع الزمان الذي أبدع في مقاماته إبداعاً بيانياً وبديعياً، وصاغ الجمل تفنناً في السياق وفي الحبك، متنقلاً من لون بديعي إلى آخر، ومن لونٍ بياني إلى آخر... وهلم جرا.

أولاً: الطباق.

(وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلاَ الرُّجُوعَ)، صورة الطباق متحققة في لفظتي (الذهاب والرجوع) وهو بين اسمين، حيث نفى عدم قدرتهم على الذهاب، وعدم قدرتهم على الرجوع، فإن مضوا في الصحراء تصيبهم المشقة والتعب، وإن رجعوا يتحقق لهم ذلك، فهي صورة جمّلها وحسّنها بهذا الطباق الذي يشرح حالهم، وما وصلوا إليه من مشقة وتعب في الصحراء القاحلة.

[1] انظر: الأدب المقارن - جامعة المدينة (ماجستير) (ص: 287).

قوله: **(فقلت: بشرى لك وبك)**، بين حرفي اللام والباء طباق؛ إذ معنى (لك) أنك مختص بالبشارة فاللام للاختصاص والملكية، ومعنى (بك) أي: أن البشارة متعدية إلينا، فبشارة لك وبشارة لنا بقدومك، وهي جملة فيها من الإيجاز ما فيها، والتقدير: بشرى لك وبشرى بك.

قوله: **(وهو راكبٌ ونحن رجالة)**، بين (راكب – ورجالة)، الرجالة الذي يمشي على قدمه، بخلاف الراكب، فهو طباق إيجاب، وهو تصوير لحالهم ولشدة فزعهم من الفارس وتمكّنه منهم.

ثانياً: المبالغة.

قوله: **(كانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ الإِسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النُّفُورُ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ العُصْفُورُ)**، المبالغة تُعرفُ بأنها: " أن يدَّعى المتكلّم لوصف، بُلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعدا، أو مستحيلا"[1]، وهنا في إفراط كبير في أن مقامات الإسكندري مجرد سماعها يصغى إليها من لا يحب الاستماع إلى الحديث، بل ويهتز وينتفض العصفور لسماع ذلك، كل هذا مبالغة في أن بلاغة الإسكندري قد بلغت مبلغها، لدرجة أنها تؤثر فيمن لا يريد السماع، وتؤثر حتى على العصفور وتجعله يطرب لذلك، ويبدو أن هذا الأمر ممكن عقلاً لا عادة، فيندرج تحت ما يسمى بالإغراق.

وبالغ في وصف الفارس الذي عنّ لهم بقوله: **(وجعل ينظر فتقتلنا ألحاظُه)**، وهذا ممكن عقلاً بأن يصيبه بالعين، أما عادة فلا يمكن ذلك.

وقوله: **(فما شككنا أنه خاصم الولدان، ففارق الجنانَ، وهربَ من رضوان)**، كل هذا مبالغة في وصف جمال وحسن ذلك الفارس، وإلا يستحيل ويستبعد أن يكون قد فرّ وهرب من الجنة باختلافه مع ولدانها – بمعنى أنه من جنسهم– ويظهر أن هذا يندرج تحت ما يسمى بالغلو، حيث قد بالغ في ذلك مبالغة في الوصف فهو غير ممكن لا عقلاً ولا عادة.

وقوله: **(وفوّق سهماً فرماه في السماء، وأتبعه بآخر فشقّه في الهواء)**، وهذا كذلك مبالغة منه في مهارته وإصابته للهدف، بأن يتبع سهماً في السماء بسهمٍ آخر يشقه نصفين، وإن كان ممكن عقلاً أما عادةً فلا.

[1] جواهر البلاغة (ص: 312).

ثالثاً: الجمع مع التقسيم.

قوله: **(وخفنا القاتلينِ الظمأ والجوع)**، في الجملة محسن بديعي وهو الجمع مع التقسيم، فقد جمع الأمر بدايةً تحت حكم واحد وهو القتل، في قوله: (القاتلين)، ثم قسّم ذلك في تفصيل هذين القاتلين، وهما الظمأ والجوع، وهو تفنن في القول المراد منه تأكيد وتقرير هذا الخوف، وذلك بذكره مرتين مرة بالجمع، وأخرى بتقسيمه وتفصيله.

رابعاً: الجناس.

قوله: **(وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النِّجَادِ بِتِلْكَ الْجِيَادِ)**، بين (النجاد – الجياد) جناس مطرّف غير تام، حيث كان الاختلاف في أحد حروفه، فالنجاد: ما ارتفع من الأرض، والجياد: الخيل، فيوجد بينهما تشابه في اللفظ لكن يختلفان في المعنى.

قوله: **(وَيَخُدُّ خَدَّ الأَرْضِ بِحَوافِرِهِ)**، جناس بين (يخدّ – خد) تام مستوفي، فالأول منهما فعل بمعنى: يشق، والثاني اسم بمعنى: الوجه.

وقوله: **(وَرَبَطْنَا الأَفْرَاسَ بِالأَمْرَاسِ)**، بين لفظتي (الأفراس – الأمراس)، جناس غير تام، فقد اختلف اللفظان في نوع الحروف؛ فلذا يسمى هذا النوع بالجناس المضارع؛ لأن الحرفين اللذينِ وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج، فأحدهما من الشفتين (م)، والآخر من الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، وفيهما جمال من حيث توافق اللفظين في الوزن والتشابه في اللفظ والحروف، فينشأ من ذلك صوت يجمّل السياق، ويشدّ انتباه السامع لمعرفة الغريب من الألفاظ.

قوله: **(فصمدنا صَمْدَه، وقصدنا قصده)**، كلا الجملتين فيهما جناس تام مستوفي، فأحدهما اسم والآخر فعل، فـ (صمدْنا) أي: قصدنا، و(صَمْدَه) أي: جهته، والجملة الثانية هي بمعنى الأولى والغرض من التكرار بيان السعة في المترادفات والتفنن في الكلام.

ويوجد ثلاثة موضع في المقامة تحتمل أن تكون جناساً، لكنها ليست كذلك؛ إذ هي متشابهة في الألفاظ ومتفقة في المعنى، ولا يوجد اختلاف إلا في كون الكلمة الأولى فعلاً والثانية اسماً، وهي قوله: **(ونفدَ الزاد أو كاد يدركه النفاد)**، وقوله: **(فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالتَمِس كَيْمَا أُنِيلُ الْمُلْتَمَس)**، وقوله: **(احتكم حكمك؟)**.

خامساً: السجع.

تكاد تتميّز المقامات بهذا المعنى البديعي، بل وتنفرد به انفراداً بيّناً، حيث يكون حاضراً وبشدة مع كل جملة –غالباً–، وذلك ما يغلب على النثر ويميزه عن الشعر، وحتى تكون الجمل لها نغم وجرس بديع، إذ تنتهي بإيقاعٍ معيّنٍ يصدر من ذلك الجمال والإبداع، وكلما كان التوافق في أكثر من حرف كلما كان الجرس الصوتي له وقعه في النفس والأذن، فينتج عن ذلك التأثير في نفس السامع أو القارئ، كتأثير سجع الحمام لدى السامع، واستئناسه به وانسجامه له، حتى يكاد يطرب وينعم، وتهزه نشوة النغم، ويتمايل كتمايل الأغصان على شجر الأكم.

ولعل أبرز ما يميز المقامة أن صاحبها يغلّب جانب اللفظ على المعنى، ويحاول أن يحشد الألفاظ المختلفة ليحقق المقدرة اللغوية لديه ويستعرض ذلك، فالمعنى ينظر إليه بشكل يسير ولا يساوي شيئاً أمام اللفظ، والسجع والجناس من أبرز مواضيع المحسنات اللفظية؛ لذا يقول الأدباء: "ومن هنا جاءت غلَبَة اللفظ على المعنى في المقامة، فالمعنى ليس شيئاً مذكوراً، وإنما هو خيط ضئيل تُنْشَرُ عليه الغاية التعليمية"[1].

وكأن صيغة السجع هي التي كان يعجب بها عصر بديع الزمان، حيث نراه يظهر براعة فائقة في استخدامها، حقاً هو لا يلتزمها دائماً، ولكنه يجنح إليها غالباً، فالأصل عنده أن يسجع، ولا يترك السجع إلا نادراً، وكانت تنهال عليه الألفاظ من كل جهة، بل ويضع الكلمات مواضعها في دقة وبراعة منقطعة النظير، من هنا كان سجعه خفيفاً رشيقاً، وليس فيه تكلف[2].

واشتملت هذه المقامة على خمسٍ وستين موضعاً مسجوعاً، أربعة مواطن كان السجع فيها بأربعة أحرف متوالية، وهي:

(أسأل الله بقاءه، حتى أرزق لقاءه)، مصوراً فرحه بلقاء الإسكندري، ويسأل الله البقاء معه، حتى يحظَ بشيء من بلاغته وحسن قوله، ثم ثنّى بسجع آخر متعجباً من قعود همّته مع حسن آلته في الصياغة والبيان، فيقول: **(وأتعجب من قعود همّته بحالته، مع حسن آلته)**.

[1] المقامة – لـ لجنة من أدباء الأقطار العربية – ط3- دار المعارف بمصر - ص9.
[2] انظر: المرجع السابق ص 32.

وقوله واصفاً الخيل عند رؤيته للأسد: **(يجد قوى الحبل بمشافره، ويخد خد الأرض بحوافره)**، وتلاحظ بأن سجعه هنا مكلل بالقبول والحسن؛ إذ المعنى هو الذي يقود المتكلم لا العكس، وهذا أحسن السجع وأشرفه منزلة من حيث تساوي فقراته في عدد الكلمات كما في هذا المثال.

بينما في سجعه: **(فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالتَمِس كَيْمَا أُنِيلُ الْمُلْتَمَس)**، تجد فيه من التكلف ما فيه؛ لما فيه من قود المتكلم إلى المعنى، وركاكة في السجع، وعدم توحيد الوزن في كلمتي: (التَمِس– الْمُلْتَمَس).

وثلاثة عشر موطناً كان السجع فيها بثلاثة أحرف، منها: **(ما يصغى إليه النفور، وينتفض له العصفور)**، وهو سجع حسن ومقبول في كون التساوي في عدد الكلمات والفقرات، ومنها: **(وأخذنا الطريق ننتهب مسافته، ونستأصل شأفته)**، الذي فيه سجع لطيف وتصوير لقطع تلك الطريق.

وقوله في وصف نوع من الشجر (ألاء) والأثل: **(كالعذارى يسرحن الضفائر، وينشرنَ الغدائر)**، وأيضاً في وصف جوارح الخيل عندما رأت الأسد وفزعت منه: **(وقد أرهف بأذنيه، وطمحَ بعينيه)**.

وفي تصوير الأسد وطلوعه يقول: **(قد طلع من غابه، منتفخاً في إهابه، كاشراً عن أنيابه)**... وغيره.

وست وعشرون موطناً كان السجع فيه بحرفين، منها على سبيل المثال: قوله في قطع الطريق بالخيول السريعة: **(ولم نزل نفري أسنمة النجاد، بتلك الجياد)**.

ومنها أيضاً في وصف الخيول عند رؤية الأسد: **(فأرسلت الأبوال، وقطعت الحبال، وأخذت نحو الجبال)**، بسجع سلس غير متكلف.

ووصف نظرات الأسد وأنَفَته بقوله: **(بطرْفٍ قد مُلئ صلفا، وأنفٍ قد حُشي أنفا)**، وقال في وصف ساعد ذلك الفارس وقوامه الذي عنّ لهم: **(وَسَاعِدٌ مَلآنٌ، وَقَضِيبٌ رَيَّانُ)**، وأصله وهيئته: **(وَنِجَارٌ تُرْكِيٌ، وَزِيٌ مَلَكِيٌ)**، وهو سجع جميل وحسن بألفاظ حلوة رنّانة، ومنها قوله في وصف ذلك الفارس وجماله: **(فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الوِلْدَانَ، فَفَارَقَ الْجِنَانَ، وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ)**، بسجع جميل مستمدّ من رنين حرف المد (الألف) وغنة النون.

ووصف تخلصه وتغلبه على الفارس بقوله: **(ومددت يدي إلى سكين كان معي في الخفّ وهو في شغلهِ فأثبته في بطنه، وأبنتُه في متنه، فما زاد على فمٍ فغرَه، وألقمه حَجَرَه)**، تصوير بديع لشق بطنه وفتح فمه وإلقامه الحجر، بصوت الهاء الذي يحمل في طيّاته خروج الهواء بسلاسة ويسر، وفتح الفم من أثر ألم الموت وشدته.

واختتم مقامته بأحسن سجع وأجوده من حيث التساوى في الفقرات، وعدد الكلمات، فقال: **(ولا نصر مع الخذلان، ولا حيلة مع الحرمان)**.

وسبعة عشر موطناً كان السجع فيه بحرفٍ واحد، منها على سبيل المثال:

قوله: **(أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ، وَعَيْشٍ رَطْبٍ)**، بمعنى أنك لجأت إلى كريم لا تخشى في جواره ضيقاً أو شدة، وعيشه ليّن وسهل ورغد.

وفي وصف تعجبهم من خدمة الفارس: **(يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الخِدْمَةِ، وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ)**، فهو لطيف في خدمته وحسن في قوله.

ومنه قوله: **(وحين رأينا الجدّ، أخذنا القدّ)**، المنتهي بحرف الدال المقلقل المشدد بنبرة الصوت المنزعج والمتعجب.

وقس على هذا في بقية جُمَل المقامة.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً على إكمال البحث، وأود هنا أن أتكلم عن بعض النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال التعريج على مقامات بديع الزمان الهمذاني.

1- أن كلمة (المقامة) تدلّ على مكان وقوع الحادثة التي يرويها بديع الزمان الهمذاني، بينما هنا دلت على حادثة حدثت له مع الأسد فسماها بذلك؛ لما لها من أثر بليغ في ذاكرته جعلته يفرد ذلك في مقامة خاصة.

2- في المقامة الأسدية الكثير من المعاني البديعية – ولا سيما السجع منها- كذلك تحتوي على الكثير من المعاني البيانية، والبديعية، والأساليب الخبرية والإنشائية، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير.

3- ستجد أنت كباحث المتعة والفائدة من خلال سرد القصة، وما احتوت عليه من اللطائف البيانية والأسرار البلاغية.

4- ممارسة مثل هذه القراءة ستتكّون لدى الباحث المقدرة على تحليل النصوص تحليلاً بلاغياً أدبياً عميقاً.

5- هذه المقامة الوحيدة التي سماها بديع الزمان باسم حيوان وهو الأسد، بخلاف بقية المقامات التي تسمّت أغلبها بأسماء أماكن وأمصار مختلفة.

6- لا شك أن المتعة والفائدة لا تخلو من أيّ نظرٍ أو تأملٍ في تراثنا الأدبي القديم.

7- في كثير من المواقف والأحداث يحاول بديع الزمان أن يبالغ في وصفها وسردها بصورة جمالية بديعة، مما يثير الغرابة على قدرته البالغة في تصوير المواقف.

المصادر والمراجع:

1- تاج العروس من جواهر القاموس لـــ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـــ)، المحقق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.

2- القاموس المحيط لـــ: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـــ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط8، 1426هـــ - 2005م.

3- لسان العرب - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـــ) - دار صادر - بيروت - ط3 - 1414هـــ.

4- المعجم الوسيط ـــ إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـــ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

5- شرح شواهد المغني - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـــ)، علق عليه: أحمد ظافر كوجان - الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي - لجنة التراث العربي - ط بدون،1386 هـــ - 1966م.

6- مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: 518هـــ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت، لبنان.

7- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لـــ نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني، الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـــ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - عام النشر:1420هـــ.

8- الأدب المقارن - كود المادة: GARB5523 - المرحلة: ماجستير - المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية.

1 جواهر البلاغة لـــ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـــ) - ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي - المكتبة العصرية، بيروت.

9- المقامة - لـــ لجنة من أدباء الأقطار العربية - ط3- دار المعارف بمصر.

10- مقامات بديع الزمان الهمذاني لـــ: أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المتوفي سنة (398هـــ) – قدم لها وشرح غوامضها: الشيخ محمد عبده – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

11- صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – دار الصابوني– القاهرة – ط1، 1417 هـــ – 1997 م.

12- الأدب المقارن – جامعة المدينة (بكالوريوس) – كود المادة: LARB4143 – المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية.

13- مقامات الحريري – دار الكتب اللبناني – بيروت – 1981م – ط1 – تحقيق: يوسف بقاعي.

14- الموسوعة العربية العالمية – أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

15- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـــ) – المحقق: إحسان عباس – دار صادر – بيروت.

16- معجم الأدباء ــ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـــ) – المحقق: إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط1- 1414هـــ – 1993م.

17- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـــ)- المحقق: د. مفيد محمد قمحية – دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ط1- 1403هـــ1983م.

18- الأعلام ــ خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي الدمشقي – (المتوفى: 1396هـــ) – دار العلم للملايين – ط15 – أيار/ مايو 2002م.

19- الصناعتين – أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو 395هـــ) – المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العنصرية – بيروت – 1419هـــ.

20- علم المعاني – عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـــ) – دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ط1، 1430هـــ – 2009م.